يسرنا في شبكة بينونة للعلوم الشرعية
أن نقدم لكم سلسلة

إعداد

شبكة بينونة للعلوم الشرعية

(01)

التنافس على الدنيا

قال النبي ﷺ: «ما الفقرَ أخشى عليكم، ولكني أخشى أن تُبْسَطَ عليكم الدنيا كما بُسِطَتْ على مَن كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، وتُهْلِكَكم كما أهلكتهم» متفق عليه.

وقال النبي ﷺ: «إنَّ هذا الدِّينار والدرهم أَهْلَكَا مَن كان قبلكم، ولا أراهُمَا إلا مُهْلِكَاكُم» السلسلة الصحيحة (١٧٠٣).

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: (مرَّ النبي ﷺ بدِمْنَةٍ قومٍ، فيها سَخلةٌ مَيْتَةٌ، قال: «ما لأهلها فيها حاجة؟»، قالوا: يا نبي الله، لو كان لأهلها فيها حاجة ما نَبَذُوها، قال: «فوالله، لَلدُّنيا أهونُ على الله من هذه السَّخْلَةِ على أهلِها، فلا أُلْفِيَنَّهَا أَهْلَكَتْ أحداً منكم») السلسلة الصحيحة (٣٣٩٢). دمنة قوم: آثار الناس وما سوَّدوا من آثار البعر وغيره [لسان العرب: د م ن]، والسَّخْلَة: ولد المعز أو الضَّأن.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (كنتُ أمشي مع رسول الله ﷺ في نخلٍ لبعض أهل المدينة، فقال: «يا أبا هريرة، هلَكَ المُكثرون، إلا من قال هكذا، وهكذا، وهكذا» ثلاث مرات، حثَى بكفه عن يمينه، وعن يساره، وبين يديه، «وقليلٌ ما هم») السلسلة الصحيحة (٣٦٦/٤).

(02)

ثلاث خصال مهلكات

قال رسول الله ﷺ: «المهلكاتُ ثلاثٌ: إعجابُ المرْءِ بنَفْسِهِ، وشُحٌّ مُطاعٌ، وهوى مُتَّبَعٌ» السلسلة الصحيحة (١٨٠٢).

الصفة الأولى: إعجاب المرء بنفسه، وهي وسيلة إلى الفخر، والخيلاء، واحتقار الخلق، وغير ذلك من الشرور، لهذا قال ﷺ: «إذا قالَ الرَّجُلُ: هَلَكَ النَّـاسُ، فهو أهْلَكُهُم» مسلم، فمن قال: هَلَكَ الناس مستثنياً نفسَه من الهلاك، فهو أهلكُهُم، بإعجابه بنفسه، واعتقاده أنه لم يبقَ مثله.

وأما الصفة الثانية: وهي الشُّحُّ الذي هو شدة الحرص على الشيء، والإحفاء في طلبه، والاستقصاء في تحصيله، وجشعُ النفسِ عليه، والبُخْلُ ثمرةُ الشّحِّ، وهو يدعو إلى كل خلق رذيل، وينهى عن كل خلق جميل، كما قال النبي ﷺ: «اتَّقوا الشُّحَّ، فإن الشُّحَّ أهلَكَ مَن كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم، واستحلوا محارمهم» مسلم.

وأما الهوى المتَّبع: فإنها تهوي بصاحبه إلى الشهوات المهلكة، ومن هوى شيئاً هوى به.

(03)

الاختلاف وترك سنة النبي ﷺ

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سمعتُ رجلاً قرَأ آيةً، سمعتُ مِن النبي ﷺ خلافها، فأخذتُ بيده، فأتيتُ به رسول الله ﷺ، فقال: «كِلاكُمَا محسنٌ، لا تختلفوا، فإنَّ مَن كان قبلكم اختلفوا فهَلَكوا» البخاري (٢٤١٠).

إن الاختلاف ليؤدي إلى هلاك الأمم، قال تعالى: ﴿ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم﴾، وعلاج الاختلاف قد بينه النبي ﷺ بقوله: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة» صحيح أبي داود (٤٦٠٧)، ومن زاغ عن سنته ﷺ وهديه فهو الهالك، كما قال ﷺ: «إني قد تركتكم على مثل البيضاء، ليلُها كنهارها، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك» صحيح الترغيب والترهيب (٥٩).

وترك سنة النبي ﷺ سبب للهلاك والإحداث في دين الله تعالى، كما هو شأن بني إسرائيل لما هلكوا أخذوا طريق القَصص وتركوا العمل بدينهم، كما في الحديث: «إن بني إسرائيل لما هَلَكوا قصُّوا» السلسلة الصحيحة (١٦٨١).

(04)

البخل وطول الأمل

قال رسول الله ﷺ: «صلاحُ أول هذه الأمة بالزهد واليقين، ويَهلَكُ آخرُها بالبُخل والأَمَل» السلسلة الصحيحة (٣٤٢٧).

البخل يدلُّ على ضعف الإيمان وعدم الوثوق بضمان الرحمن، وذلك جالبٌ إلى الخسران وقائد إلى الهوان والحرمان، والبخل من سوء الظن بالله؛ لأن البخيل يظن أنه إذا أعطى شيئاً ذهب ما بيده ولم يخلَف له.

أما طول الأمل فإنه يترتب عليه أربعة أشياء:

١. ترك الطاعة، يقول: سوف أفعل، والأيام بين يدي.

٢. ترك التوبة وتسويفها، وربما اختطفه الأجل قبل إصلاح العمل.

٣. الحرص على جمع المال، والاشتغال بالدنيا.

٤. قسوة القلب ونسيان الآخرة؛ لأن مَن أمَّل العيش الطويل لا يذكر الموت والقبر.

قال ابن القيم رحمه الله: (ليس للعبد أنفع من قصر الأمل، ولا أضر من التسويف وطول الأمل) [طريق الهجرتين: ص٤٩٠].

(05)

محقرات الذنوب

قال رسول الله ﷺ: «إياكم ومُحقَّرَات الذنوب، كقوم نزلوا في بطن وادٍ، فجاءَ ذا بعُودٍ، وجاءَ ذا بعُودٍ، حتى جمعوا من ذلك سَوَاداً وأجَّجُوا ناراً فأنضجوا خُبزتَهم، وإن مُحَقَّرات الذنوب متى يؤخَذ بها صاحبها تُهلكه» السلسلة الصحيحة (٣٨٩).

إن محقرات الذنوب هي التي يستصغرها العبد ولا يبالي فيقع فيها بغير حساب، ولا يزال الشيطان يهوِّن عليه أمرها حتى يُصرَّ عليها، وذلك علامة الهلاك.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال لي رسول الله ﷺ: «يا عائشة، إياكِ ومحقرات الأعمال، فإن لها من الله طالباً» صحيح ابن ماجه (٤٢٤٣)، أي: إن الله يُطالب فاعلها بالجزاء فلا يتركها له.

والتهاون فى صغائر الذنوب بمنزلة الشرارة من النار تُرمى فى الحشيش اليابس، فأحدثت حريقاً هائلاً، كما قيل: ومُعظمُ النار من مستصغر الشرر، وفي ذلك يقول الشاعر:

خل الذنوب صغيـــرها ... وكبيـــرها ذاك التقى

واصنع كماشٍ فوق أرضِ ... الشوك يحذر ما يرى

لا تحقرنَّ صغيـــــرة ... إن الجبال من الحصى

قال ابن مسعود رضي الله عنه: (إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب مرَّ على أنفه، فقال به هكذا) رواه البخاري (٦٣٠٨).

(06)

الغلو في الدين

قال رسول الله ﷺ: «يا أيها الناس، إياكم والغلو في الدين، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين» صحيح ابن ماجه (٢٤٧٣).

الغلو في العبادات هو بالزيادة فيها عن الحد المشروع، سواء في الكمية، أو الكيفية، أو غير ذلك.

ومن الغلو أيضاً: الغلو في الأقوال.

ومن مظاهره: مسألة التكفير بدون ضوابط وقواعد، فجرَّ التكفير عند بعض الجماعات إلى التفجير والقتل. فالغلو هلاك في الدنيا، وهلاك في الآخرة، ولا يأتي بخير أبداً.

(07)

التنطع

قال رسول الله ﷺ: «هلك المتنطعون» قالها ثلاثاً مسلم (٢٦٧٠).

والمتنطعون: هم المتشدِّدون، ولهذا جاء في الحديث: «لا تشدِّدوا على أنفسكم، فإنما هلك من قبلكم بتشديدهم على أنفسهم، وستجدون بقاياهم في الصوامع والدِّيارات» السلسة الصحيحة (٣١٢٤)، ومن صور التنطع على سبيل المثال:

١. عدم الأخذ بالرُّخَص، كالمريض الذي لا يستطيع القيام في الصلاة، فمن الرخصة له أن يُصلي قاعداً فإن لم يستطع فعلى جنب، وكالمريض يحتاج للطعام والشراب في نهار رمضان، فإنه يباح له الفطر، ونحو ذلك.

٢. السؤال عما لم يسأل عنه الصحابة رضوان الله عليهم، سواء فيما يتعلق بصفات الله ﷻ وأفعاله، أو السؤال عن المغيبات، أو غير ذلك. انظر القول المفيد لابن عثيمين (١/ ٣٧٧).

قال صديق حسن خان ﷺ تعليقاً على هذا الحديث: (لا وجه لتخصيص بعض الأحوال والأفعال بمصداق هذا الحديث، بل كل شيءٍ وُجِدَ فيه التعمُّقُ عبادةً كانت، أو معاملة، أو عادةً، وسواء كان في الظاهر، أو في الباطن، أو في العقائد، أو في العمل، وكان الحق والصواب الثابت بالكتاب والسنة خلافه؛ فالحديث يشمله، وصاحبه مقضيٌّ عليه بالهلاك) اهـ السراج الوهاج (١٠/ ١٩٨).

(08)

كثرة الخبث

عن زينب بنت جحش رضي الله عنها أن النبي ﷺ دخل عليها فَزِعاً يقول: «لا إله إلا اللّٰه، ويلٌ للعرب من شرٍّ قد اقترب، فُتِحَ اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثلُ هذه» -وحلَّق بإصبعه الإبهام والتي تليها-، قالت زينب: فقلتُ: يا رسول اللّٰه، أنهلكُ وفينا الصالحون؟ قال: «نعم، إذا كثُر الخبَث» متفق عليه.

ردم يأجوج ومأجوج: هو السد العظيم الذي بناه ذو القرنين.

والخبث: اسم جامع يجمع الزنى، والفساد، والمنكر في الدين، وغيره من الشر.

ومعنى الحديث: إذا كثر الشر والفساد، وانتشرت المعاصي والمنكرات هلك الناس جميعاً صالحهم وطالحهم، فظهور المعاصي من أسباب الهلاك العام.

قال أبو الوليد الباجي رحمه الله: (هذا مع الصالحين، فكيف بقِلَّتهم؟ أو مع عدمهم؟ نسأل اللّٰه أن يتجاوز عنَّا بفضله، ويتغمد زللنا برحمته) المنتقى من شرح الموطأ (٥/ ١٠٩).

(09)

ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

قال رسول الله ﷺ: «مَثَل القائمِ على حدود الله والواقعِ فيها، كمَثَل قومٍ استَهَمُّوا على سفينةٍ، فأصابَ بعضُهُم أعلاها وبعضُهُم أسفَلَهَا، فكان الذين في أسفلِها إذا استَقَوا من الماء مرُّوا على مَن فوقَهم، فقالوا: لو أنَّا خَرَقنا في نَصيبنا خرقاً ولم تؤذِ مَن فوقنا، فإن يترُكوهُم وما أرادوا هَلَكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً» البخاري (٢٤٩٣).

المعنى: إذا مَنَع الناسُ الفاسقَ عن الفسق نجا ونجوا من عذاب الله تعالى، وإن تركوا الفاسق على فعل المعصية ولم يقيموا عليه الحد؛ حلَّ بهم العذاب وهلكوا.

كذلك إذا أخذَ العقلاءُ وأهلُ العلمِ والدينِ على أيدي الجهَّال والسُّفَهاء نجوا جميعاً، وإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، كما قال الله تعالى: ﴿واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة﴾ بل تصيبكم عامة بسبب مداهنتكم.

(10)

الغيبة

عن أسامة بن شريك ﷺ قال: كنتُ عند النبي ﷺ، وجاءتْ الأعراب ناساً كثيرٌ هاهنا وهاهنا، فسكتَ الناس لا يتكلمون غيرهم، فقالوا: يا رسول الله، أعلينا حرجٌ في كذا وكذا؟ في أشياء من أمور الناس لا بأس بها، فقال: «يا عباد الله، وضعَ اللهُ الحرَجَ، إلا امرءاً اقترض امرءاً ظُلماً، فذاك الذي حَرِجَ وهَلَكَ» البخاري (٢٢٣).

الحرَج: في الأصل الضيق، ويقع على الإثم والحرام. اقترضَ امرءاً، أي: وقع فيه وعابه. فذاك الذي حرِجَ، أي: أثِمَ واستوجب العقوبة.

ومن عقوبة الغيبة: قول النبي ﷺ: «لا تغتابوا المسلمين، ولا تتتبَّعوا عوراتهم، فإنه من اتَّبَع عوراتهم يتَّبِع الله عورته، ومن يتَّبع الله عورته يفضحه في بيته»

صحيح أبي داود (٤٨٨٠).

ومنها أيضاً: قول النبي ﷺ: «لما عُرجَ بي مررتُ بقوم لهم أظفارٌ من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم، فقلتُ: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم» صحيح أبي داود (٤٨٧٨).

(11)

إقامة الحد على الضعيف دون الشريف

عن عائشة رضي الله عنها: أن قريشاً أَهَمَّهم أمرُ المخزومية التي سَرَقَتْ، فقالوا: مَن يُكلِّمُ فيها رسول الله ﷺ؟ فكلَّمه أُسامةُ حِبُّ رسولِ اللهِ ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «أتشفعُ في حدٍّ من حدود الله؟»، ثم قام فخَطَب، فقال: «يا أيها الناس، إنما أَهلَكَ الذين مِن قبلكم أنهم كانوا إذا سَرَقَ فيهم الشَّريف تركوه، وإذا سَرَق فيهم الضَّعيف أقاموا عليه الحدَّ، وَايْمُ اللهِ لو أنَّ فاطمةَ بنتَ محمَّدٍ سَرقتْ لَقَطَعتُ يَدَها» البخاري (٦٧٨٨)، ومسلم (١٦٨٨).

هذه المرأة كانت تستعير المتاع والحلي من الناس ثم تجحده، وتبيع المتاع وتأخذ ثمنه، فلما عُلِم أمرها أَعْظَمَ قريشٌ ذلك وأصابهم الهم؛ لأنهم يعلمون أن النبي ﷺ سيقيم عليها الحد وسيقطع يدها، وبنو مَخْزُوم أحد أفخاذ قريش، وهم من أشراف تلك القبيلة ويسمونهم ريحانة قريش، فطلبوا أحداً يشفع في أمرها عند رسول الله ﷺ، فشَفَع فيها المحبوب للنبي ﷺ وهو أسامة رضي الله عنه، فغضب ﷺ، وخطب الناس، وبيَّن تحريم الشفاعة في حدود الله، والتفريق في ذلك بين الشريف والضعيف، وأن ذلك سبب لهلاكهم.

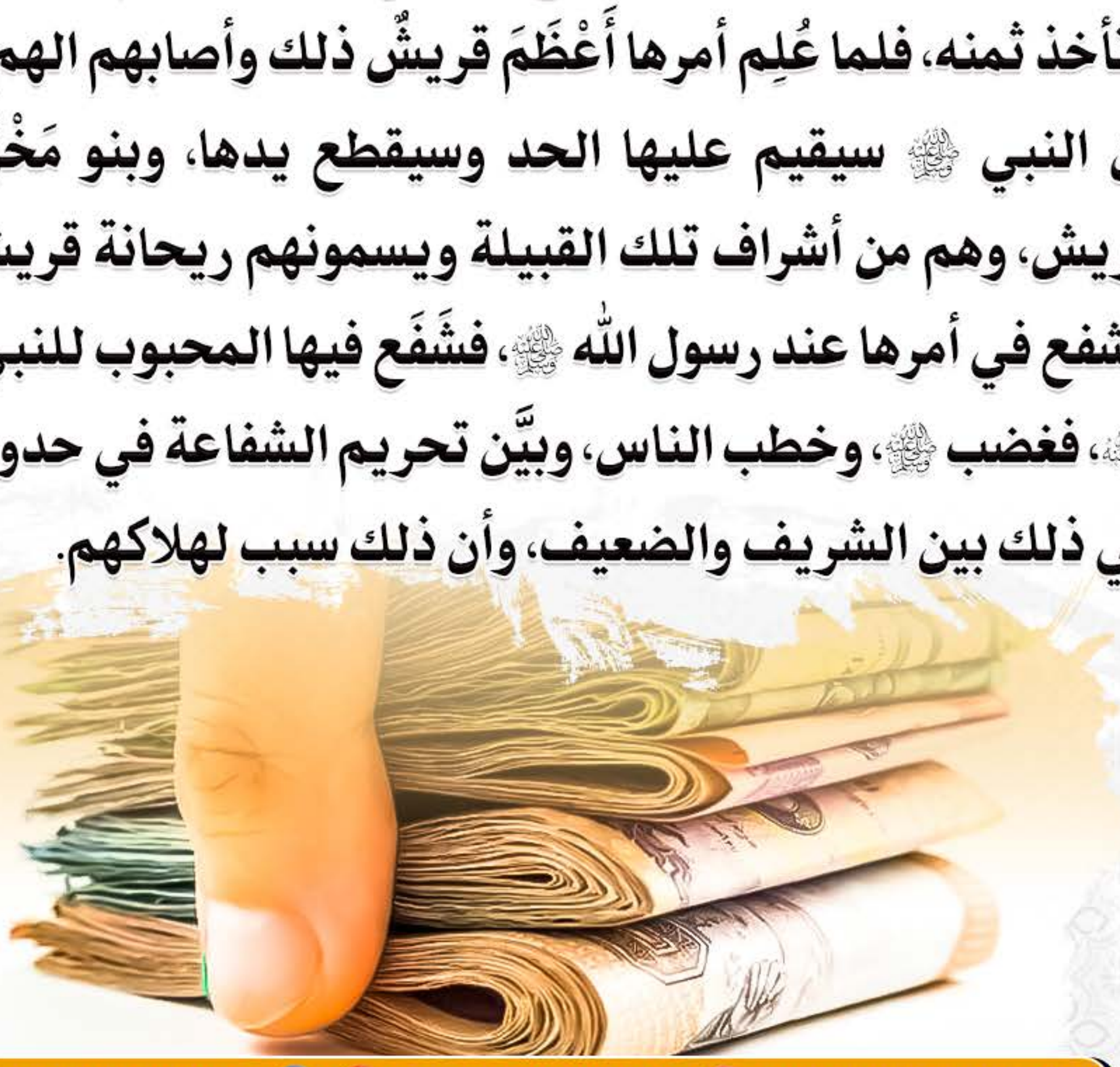

(12)

مناقشة الحساب يوم القيامة

عن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ قال: «**ليسَ أَحَدٌ يُحَاسَبُ إلا هَلَكَ**»، قلت: يا رسول الله، جعلني الله فداك، أليس يقول الله ﷻ: ﴿فأما من أوتى كتابه بيمينه ۝ فسوف يحاسب حساباً يسيراً﴾؟ قال: «**ذاك العرض، ومن نوقش الحساب هَلَك**»، وفي لفظ: «**عُذِّبَ**» البخاري (٤٩٣٩)، ومسلم (٢٨٧٦).

والمقصود بقوله: ذاك العَرض: أن الحساب المذكور في الآية إنما هو أن تُعرض أعمال المؤمن عليه حتى يعرف مِنَّة الله عليه في سترها عليه في الدنيا، وفي عفوه عنها في الآخرة.

وقوله: نوقش، يعني: حساب مناقشة ومطالبة، والمناقشة: الاستقصاء في المطالبة بالجليل والحقير، والصغير والكبير، وترك المسامحة في شيء من ذلك، والمعنى: أن تحرير الحساب يُفضي إلى استحقاق العذاب؛ لأن حسنات العبد موقوفة على القبول، وإن لم تقع الرحمة المقتضية للقبول لا يحصل النجاة. انظر: المفهم للقرطبي (١٥٧/٧)، وفتح الباري (٣٤٥/١).

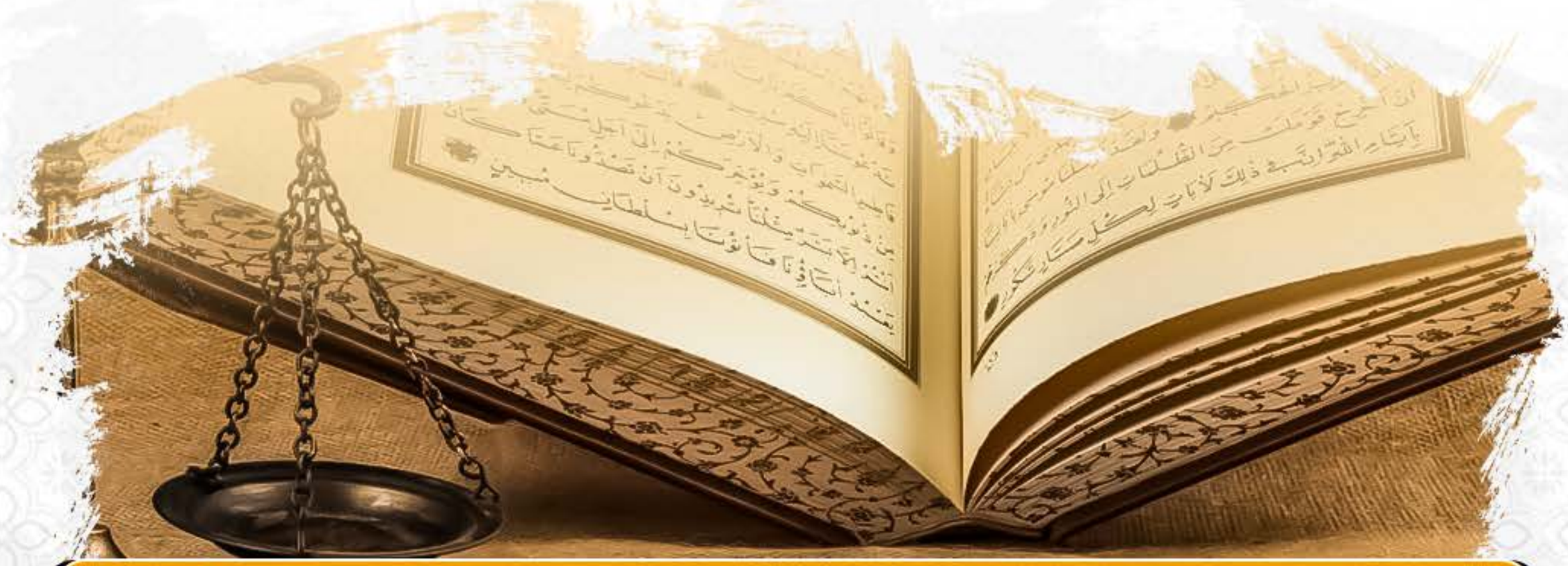

تمت بحمد الله

ظلم ذوي القربى